المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

«بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي»

الأستاذ الدكتور

خليل أحمد عمايرة

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبدالعزيز - السعودية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الاسلامي للتنمية

وائل

المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

(بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)

تأليف

الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايره

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبد العزيز - السعودية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الإسلامي للتنمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٣/٨/١٦٧٨)
٤١٥
عمايرة ، خليل أحمد
المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي/ خليل أحمد عمايرة . عمان: دار وائل، ٢٠٠٣.
(٥٥١) ص
ر.إ. : ٢٠٠٣/٨/١٦٧٨
الواصفات: اللغة العربية / قواعد اللغة / اللسانيات

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-11-339-9 (ردمك)

* المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي
* الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايرة
* الطبعـــة الأولى ٢٠٠٤
* جميع الحقوق محفوظة للناشر

تنفيذ وطباعة الرجي بيروت - لبنان
تلفاكس: ٠٠٩٦١١ ٢٧٢٢٢٥
خليوي: ٠٠٩٦١٣ ٣٣٤٦٤٨

دار وائل للنشر والتوزيع

شارع الجمعية العلمية الملكية - هاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٨٤١٠-٥٣٣٥٨٣٧
فاكس: ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ - عمان - الأردن
ص.ب (١٧٤٦ - الجبيهة)
www.darwael.com
E-Mail: Wael@Darwael.Com

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

المحتوى

الرقم	البحث	الصفحة
1.	الاهداء	3
2.	مقدمة	7
3.	القبائل الست والتقعيد النحوي	15
4.	وقفة مع نبر بعض أوزان الماضي والمضارع (دراسة وصفية)	39
5.	دعوة إلى قراءة جديدة للنحو العربي (وقفة مع الاسناد)	71
6.	رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية على ضوء علم اللغة المعاصر	103
7.	رأي في بناء الجملة الاسمية وقضاياها (دراسة وصفية)	135
8.	المعنى في ظاهرة تعدد وجوه الاعراب (في نماذج من سورة البقرة)	181
9.	اعراب المعنى ومعنى الاعراب في نماذج من القرآن الكريم...	217
10.	النظرية التوليدية التحويلية وأصولها في النحو العربي.......	247
11.	حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي	267
12.	البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي	289
13.	اللغة بين الانسان والفكر	311
14.	من نحو الجملة الى الترابط النصي	337
15.	في تحليل لغة الشعر	369

الرقم	البحث	الصفحة

16. وقفة مع صلوات في هيكل الحب – للشابي 439

17. التطور اللغوي المعاصر بين التقعيد والاستعمال 495

18. الاعداد الثقافي لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها 535

النظرية التوليدية التحويلية

وأصولها في النحو العربي

النظرية التوليدية التحويلية وأصولها في النحو العربي*

لقــد كانــت بداية الاتجاه في الدراسات اللغوية المعاصرة في الغرب إلى ما هي عليــه، كانــت فــي الآراء والأفكــار التــي نشرت في كتاب[1] Course in General Linguistics الذي نشر سنة 1916م بعد وفاة صاحب هذه الآراء (فردينا دي سوسير) العــالم السويســري (ت 1913)، الــذي يعد بحق رائد المدرسة اللغويةالحديثة. وعلى أفكاره قامت المدارس اللغوية في أوروبا وأمريكا. وربما كانت أول المدارس التي قامت علــى أفكاره مدرسة براغ البنيوية التي ازدهرت سنة 1942م وأفل نجمها 1957 عندما نشر العالم الأمريكي تشومسكي مؤسس النظرية التوليدية التحويلية كتابه[2] Syntactic Structures يضم بين دفتيه بذور النظرية الجديدة التي طورها في كتابه Aspects of the Theory of Syntax فغــدت نظرية متكاملة يمكن تحليل النص اللغوي في ضوئها بطريق أفضل من تلك التي عليها البنيويون[3].

مــنذ سنة 1916م، السنة التي نشرت فيها أمالي دي سوسير سالفة الذكر إلى ســنة 1957م الســنة التي ظهرت فيها النظرية التوليدية، نشأت مدارس كثيــرة لتحليل الــنص اللغوي في أوروبا وأمريكا، وربما كان من أبرزها في أوروبا تلك التي قامت في بريطانــيا علــى يــد العــالم الإنجليزي فيرث Firth ، وتسمى المدرسة الاجتماعية أو الســياقية. أما في أمريكا فكانت مدرسة سابير Sapir الذهنية أبرز المدارس حتى سنة 1939م ثــم تلتها مدرسة Bloomfield السلوكية حتى سنة 1949م ثم مدرسة Harris التوزيعــية، أمــا هــاريس فهو أستاذ تشومسكي وزميله وصديقه القريب. ويرى بعض الباحثيــن أن فكــرة الــنظرية التوليدية جاءت في أعمال الأستاذ، ولكنها اختلطت بأفكار التلمــيذ الــذي طورهــا فعرفت به وعرف بها وانصرف الباحثون عن آراء الأستاذ في

---

* بحث نُشر أصلاً في المجلة العربية للدراسات اللغوية ــ الخرطوم ــ المجلد الرابع ــ العدد الأول ــ ذو القعدة 1405 هـ ــ أغسطس ــ 1985م.

مدرسته التوزيعية التي كان يرى فيها جوانب نقص وما يزال إلى يومنا هذا بل وجد هو نفسه فيما يذهب إليه تلميذه ما يسد الثغرات في نظريته[4].

لا ريب أن تشومسكي قد وضع نظرية جديدة لفتت انتباه العلماء والباحثين في الغرب ثم امتدت إلى الشرق فأخذ يشتغل في ضوئها العلماء في المعاهد والجامعات الشرقية وفي العالم العربي بخاصة، آخذين بالقوانين التوليدية التحويلية التي وضعها تشومسكي وتنطبق على اللغة الإنجليزية، يطبقونها على اللغة العربية. وهنا نجد أن علينا أن نعرض الأسس الرئيسية التي تقوم عليها هذه النظرية أو مما كتب عنها.

أسس النظرية التوليدية التحويلية:

منذ سنة 1957م أي منذ أن نشر تشومسكي كتابه Syntactic Structures أصبح زعيماً للمدرسة اللغوية في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تجرأ على نقد مدرسة بلومفيلد بخاصة، نقداً قوياً انصب على أهم الأسس التي تقوم عليها، لينشئ على أنقاضها مدرسته التي تحمل أفكاراً تتناقض وأفكار بلومفيلد في كثير من الجوانب وإن كانت تأخذ عنها أو تلتقي معها في بعض النقاط، وكان جلُّ نقد تشومسكي ينصب على الجوانب السلوكية في نظرية بلومفيلد وفي آراء السلوكي المشهور سكنر Skinner الذي كان له أثره في النظرية اللغوية.

يبدو أن النقطة الرئيسية في نظرية تشومسكي، التي قادت تفكيره إلى ما تبعها من أفكاره، هي فكرة (الفطرية اللغوية)[5] في ذهن الإنسان. متخذا من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات، نقطة يعتمد عليها، فالإنسان غير السوي ـ فضلا عن الذكي القادر ـ يستطيع إنتاج الجمل والتعبير عما في نفسه، في حين أن أذكى الحيوانات وأكثرها تدريباً وتقبلاً لما يعلمها الإنسان لا يستطيع ذلك. ومما جعل تشومسكي يزداد تمسكاً بهذه الفكرة وتوكيداً لها في نظريته، ما يراه في تدرج الطفل الصغير في الكلام، وفي انتقاله إلى تعلم اللغة. فالطفل[6] يبدأ في سن معينة (سنة أو سنتين) إنتاج الجمل، وما أن يصل إلى سن معينة (السابعة مثلا) حتى يكون قادراً على التعبير عما في نفسه بعدد كبير من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، وقادراً أيضاً

ـ إلـى حـد معين ـ على إدراك السليم من الجمل التي يسمعها من غير السليم، ويأتي إلـى المدرسة في هذه السن ليتعلم كيف يكتب، ويقرأ، وليس كيف يولد جملاً. ومما هو جديـر بالذكـر هـنا أن تشومسكي قد تأثر في هذه النقطة بخاصة بما قاله الفيلسوفان الفرنسـي ديكارت (ت 1650) الذي كان يرى أن الإنسان يختلف عن الحيوان في أن له عقـلا، وأن أهـم خصائص العقل إنتاج اللغة، وهذه نقطة معروفة عند أصحاب المذهب العقلـي. والألماني همبولـت (1767 ـ 1835)، الذي يرى أن اللغة نتاج العقل، وهي الصـوت المـنطوق الذي يعبر به المتكلم عن فكره، وهي (اللغة) نتاج عدد من العمليات الخلاقـة العضـوية غـير الآلـية، تتم في الذهن، ويظهر أثرها على السطح الخارجي بالأصوات والكلمات والجمل، وبها يتم التفاهم بين المتكلم والسامع.

قلـنا إن فكرة الفطرية اللغوية في نظرية تشومسكي، تتمثل حجراً أساساً يعتمد علـيه المبـنى كله، فقد قادته هذه الفرضية إلى فرضية أخرى تتعلق بها، وهي أن هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية (القواعد الكلية) [7] التي تقوم بضبط الجمـل المنـتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المـتكلم، يختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، والتـي هـي كلية شمولية عالمية[8] **Universals** متساوية عند بني البشر تكون في الإنسـان مـنذ ولادتـه ويسميها **linguistic acquisition device** وهي فطرية ـ كما ذكرنا ـ تولد مع الإنسان ثم يقوم بملئها بالتعابير اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه، فتنضـج وتقوى بالتدريج. وكلما اكتسب الإنسان ما يملأ به هذه الكليات الفطرية، ازداد الـنمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه، في جزئية منها. وهي تلك المسؤولة عـن بـناء الجمـل وتركيـبها في لغته، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبنائها مضـبوطة بقواعـد وقوانيـن تسمى (القواعد التوليدية) [9] **Generative Rules** فليس الأمـر ـ كمـا يـرى تشومسكي ـ اكتسابا كما يراه السلوكيون يتم بالتقليد والمحاكاة والتخزين في الذهن الذي يولد صفحة بيضاء. فيسمع صاحبه (الطفل) أصواتاً يقلدها، ثم تشـير هـذه الكلمات إلى معان ترتبط بها في ذهنه (دال ومدلول)، ثم يكتسب قدرة على تركيـبها فـي جمـل، ويصبح لهذه الجمل والتراكيب معان هي في جملتها مأخوذة من

معانــي المفــردات ودلالــتها. إذاً فالقواعد والقوانين النحوية المسؤولة عن بناء الجمل وتراكيــبها فطــرية (ذهنية كلية عالمية) [10] ، وهي التي تقوم بضبط الجمل بعد توليدها لــتجعلها جمــلا نحويــة أو غــير نحوية: [11] يدركها المتكلم والسامع المثالي في لغة معينة[12] ، ويسوق مثالين مشهورين:

1) Colourless green ideas sleep furiously,

فهــذه الجملــة يدرك المتكلم ــ السامع الإنجليزية بأنها بلا معنى، ولكنها تنتظم كلماتها طبقا للغة الإنجليزية، ويدرك أن الجملة:

2) Furiously sleep ideas green colourless.

جملــة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها طبقا لقواعد النحو في اللغة الإنجليزية، فليست جملة (نحوية).

وقــد ترتب على هاتين الفرضيتين (الفطرية والشمولية) فرضية أخرى تبرز في المصطلحين التاليين: الكفاية Competence والأداء Performance فالكفاية تكون في امــتلاك المــتكلم ــ السامع Ideal speaker-hearer القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمــل مــن عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية والقدرة على الحكم بصحة الجمل التــي يســمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية ــ كما ذكرنا قبل قليل ــ ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتَجة وتجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل، القدرة على ربطها بمعــنى لغــوي محدد، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية، يتم التنسيق بينها بما يسمى (قواعد إنتاج اللغة).

وهــذه القواعــد والقوانيــن وتلــك القدرة كامنة في الذهن، أما استعمالها (أي استعمال اللغة) فيسمى الأداء Performance . فالأداء هو الكلام أو هو الجمل المنتجة التــي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جملية خاضعة للقواعد والقوانين اللغويــة الكامــنة، وهي المسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات في تراكيبها. فهــو (الأداء) الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة، ولكن هذا الوجه

قـد لا يحصـل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون في انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية .. الخ.

وقـد ارتـبط بهاتيـن الفرضيتين فرضيتان أخريان في نظرية تشومسكي هما: البنـية العمـيقة Deep Structure[13] والبنية السطحية Surface structure[14]. أما البنية العميقة فهي الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملـي أصولي يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيدا له. وهي النواة التي لابد مـنها لفهـم الجملـة ولتحديد معناها الدلالي وإن لم تكن ظاهرة فيها، فلو أخذنا المثال التالي مثلا للتطبيق:

يشرح المدرس الدرس بطبشورة يكتب بها على السبورة.

فـإن هـذه الجملـة المنطوقة تتكون في الأصل من ثلاث جمل أصولية (نواة) Kernal sentences، تجسـد كل واحدة منها معنى عقليا في ذهن المتكلم وهذه الجمل هي:

(1) يشرح المدرس الدرس.

(2) يكتب المدرس بالطبشورة.

(3) يكتب المدرس على السبورة.

فتمـثل الجمـل الثلاث في مجموعها علاقة بين نقاط رئيسة (المدرس، الدرس، السـبورة، الطبشورة) وهذه هي البنية العميقة التي يأتي دور تجسيدها بكلمات متتابعة مـنطوقة surface structure بنـية سـطحية، وتأتي هذه البنية السطحية متآلفة من الجمـل الـنواة الثلاث لتكون جملة تحويلية معبرة عن العلاقة بين الكلمات السابقة، كما يلـي: يشـرح المـدرس الـدرس بطبشورة يكتب بها على السبورة. بصرف النظر عن الكيفـية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه، فقد تكون كما ذكرنا قبل قليل، وقد ينطق بها المتكلم مقدماً جزءاً من الجمل النواة على الآخر، فقد يقدم الجزء الثاني على الثالث، أو الثالـث علـى الأول أو ... الخ. وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن

المتكلم أو في الكشف عنه. فالبنية السطحية ــ كما بينا ــ هي الكلام المنطوق المرتبط ارتباطا وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة. فبها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة ويسوق تشومسكي المثل التالي ليوضح هذه النقطة:

الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي.

فهذه جملة تحويلية، وهي البنية السطحية لمعان ذهنية مجردة يمكن تمثيلها بالجمل النواة التالية:

الله لا يُرى.

العالم مرئي.

خلق الله العالم.

فيتم ربطها ببعضها، أو يتم تحويلها، لتظهر في الجملة التحويلية الكبرى: الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي. ويتم هذا التحويل بواسطة عدد من العناصر التي تستخدم لربط الجمل النواة ببعضها، لا مجال لذكرها هنا، فترمز الجملة الكبرى إلى المعنى الذهني المجرد الكامن في ذهن المتكلم، وهو ذو دور رئيسي في الوصول إلى المعنى الدلالي للتركيب الجملي.

وهنا تبرز نقطة جديدة في نظرية تشومسكي؛ وهي فرضية بعيدة المنال ــ فيما نرى ــ مع أنه يعول عليها، ويوليها أهمية كبرى وهي (الحدس Intuition) ويقصد بالحدس حدس الباحث للوصول إلى نية المتكلم المتبادر على إنتاج الجمل من جهة، وعلى الحكم بصحة أو خطأ ما يسمع، وحدس الباحث أيضاً في الوصول إلى معرفة المتكلم بلغته معرفة ضمنية بالملاحظة وغيرها من وسائل البحث، ليتوصل إلى استنباط قواعد اللغة وقوانينها.

وقد أوجد تشومسكي عدداً من الطرق لتحليل الجمل، مستخدماً الرموز الرياضية لتوضيح البدهيات التي يحتاجها السامع، ويعتمد في وضع هذه الطرق التي يمكن

حصـــرها فـــي ثلاث، على الإطار الرئيسي الكلي في نظريته، وهو أنّ هناك جهازاً يضم عـــدداً مـــن الرموز والكلمات التي ترتبط بمعجم دلالي، وتتضام في جمل خاضعة لقواعد وقوانيـــن كلـــية عالمـــية Universals[15] وتـــتحرك هـــذه الرموز والكلمات في الأطر القواعديـــة بعمليات ذهنية داخلية لتنتج عدداً لا حصر له من الجمل التي تعبر عن ترابط المعانـــي فـــي الذهـــن Deep structure، ثـــم تتحد لتصدر منطوقة مكونة بذلك جملة تحويلية تخرج طبقاً لقواعد التحويل[16] Transformational Rules.

فممـــا هـــو واضـــح مما عرضناه من الأسس الرئيسية التي تقوم عليها نظرية تشومســـكي التولـــيدية التحويلية أنها تعتمد على ركن خفي لم يبرز ذكره كثيراً مع أنه يمثل حجر الأساس فيها وهو الاعتماد على أصل وفرع في الجمل، فالأصل فكرة والفرع كيفـــية إخراج هذه الفكرة والأصل بنية عميقة، فرعها البنية السطحية كيفما تكون، وفي الجملـــة التـــي تحمل البنية السطحية كلمات أصل، وأخرى فروع يرمزون للأولى بكلمة unmarked word وللثانـــية marked words والأولـــى عندهم وثيقة الصلة بالبنية الأصـــل (البنـــية العمـــيقة Deep structure) والثانية لها صلتها الوثيقة بالبنية الفرع (البنـــية الســـطحية Surface structure) فالجملة، مثلا The teachers approved these things فـــيها كلمات things, these, approved, teachers كلمات من الصنف الثانـــي marked words وهـــي متصلة بفرع في الجملة هو الهيئة التي ظهرت عليها الجملـــة محولـــة عن أصل ذهني مجرد يلحظ في الذهن ولا يمس أو يجسد بالكلمات في هذه الجملة، فهو ماثل هنا في قوالب الذهن على النحو التالي:

things, these, approved, teacher وهكذا عندما نستعمل بدلا من كلمات التذكير في هذه الجملة أو قبلها كلمات تشير إلى المؤنث، فهو انتقال من أصل ذهني مجرد إلى فرع منطوق مجسد.

وإن كـــان لنا أن نستشير كتاب سيبويه في هذه القضية فإننا نجده قد نص على مـــثل هـــذا، يقول: وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة، ولم يذكّر كالمذكر، لأن الأشياء كلها أصـــلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكّر، فالتذكير أول وهو أشد

تمكناً، كما أن النكرة أشد تمكنا من المعرفة، لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرّف. فالتنكير قبل وهو أشد تمكنا، فالأول أشد تمكناً عندهم، فالنكرة تعرف بالألف واللام والإضافة، وبأن يكون علماً، والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التنكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة[17].

وإذا ما انتقلنا من كتاب سيبويه إلى غيره من كتب التراث فإننا نجد أن هذا البند يعد من أهم البنود التي قامت عليها كتب الأصول في النحو وفي ضوئه تم بناء النظرية النحوية فيها، ومثالها كتاب ابن السراج (الأصول) وكتاب (الكواكب الدرية في تنزيل الفروع النحوية على الأصول الفقهية) للأسنوي، وكتب الخلاف، مثل: كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين للأنباري، وكتاب: مسائل خلافية للعكبري واللمع والاقتراح وغيرها. وهنا نسوق عدداً من النصوص التي تشير إلى ما نذهب إليه:

من تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل. ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل[18].

1. لا حذف إلا بدليل[19] فالأصل الإظهار والحذف فرع عليه. ومثل هذه القاعدة قولهم: ما حذف للضرورة لا يكون أصلاً يقاس عليه[20].

2. إذا لم يصح سماع الشيء عن العرب لجئ فيه إلى القياس. فالأصل ما سمع عن العرب هو ما يقاس مما يستجد في اللغة على المقيس عليه في لسان العرب.

3. القليل لا يعتد به[22] فالأصل كثرة ورود الظاهرة اللغوية، والفرع قلتها في اللغة وإن كانت عمن يوثق بعروبته.

4. الفرع لابد أن يكون فيه الأصل[23] ففي التعريف أصل مجرد ذهني وهو التنكير، وفي التأنيث أصل ذهني يتصل ببنية عميقة هو التنكير، ويقولون (والفرع دائماً أضعف من الأصل) [24] ويقولون: يجوز أن يثبت للأصل ما لا يثبت للفرع[25].

وانظر إلى هذه القاعدة التجريدية الذهنية التي ترتبط بالبنية العميقة وإن لم يكن لهـا ظهـور، أو قل: لم يكن لها وجود في البنية اللغوية المنطوقة. يقول الأنباري: (قد يستعمل الفرع وإن لم يستعمل الأصل ثم لا يخرج الأصل بذلك من كونه أصلا ولا الفرع عن كونه فرعاً) [26].

والنصـوص فـي هذا البند كثيرة يمكن جمع العشرات منها من كتب التراث في المكتبة النحوية اللغوية. أورد منها نصوصاً سريعة واضحة الدلالة على ما نذهب إليه:

1. الأصل في الكلام أن يكون على لفظه[27].
2. الأصل في تحمل الضمير أن يكون للفعل[28].
3. الاسم هو الأصل والفعل فرع[29].
4. الأصل في الأسماء الصرف[30].
5. الأصل في الأسماء التنكير فهو أول أحوال الكلمة[31].
6. الأصل في الأفعال البناء[32].
7. الأصل في الأسماء ألا تعمل[33].
8. الأصل في الظرف ألا يعمل[34].
9. الأصل في حروف الجر ألا تعمل مع الحذف[35].
10. الأصل في الفعل ألا يعمل في الفعل[36].

هـذا فـي القواعـد الأصـول في تراكيب اللغة ونحوها. ولا نظن أن الجانبين الصـوتي والصرفي يقلان عن النحو في اعتماد علمائهما الفكرة الذهنية المجردة القائمة علـى الأصـل والفـرع في بناء قواعد الصرف وقوانين الأصوات. ويكفي أن اللغويين وعلـى رأسـهم أسـتاذهم الخليل بن أحمد قد وضعوا الأصوات (أصوات الحروف) في أصـول رمزوا لها أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، .. الخ. وحددوا مخرج كل من هذه الأصول فـي جهـاز الأصـوات ثم بينوا صفته دون اعتبار لكيفية خروجه عند ارتباطه بغيره.

فالأصـل في صوت النون أن يكون هكذا (نَ) بفتحة كما عند اللغويين بعامة[38] ويسكون كمـا هو عند ابن جني الذي يرى أن الحركة تقلق الحرف[39] ، ولكن هذا الصوت يخرج إلـى فروع ندركها في المباني التالية: منفك، من رأى، منقلب، من يئس، ... الخ. وهذا مـا يذهب إليه أصحاب علم اللغة المعاصر وبخاصة أحد أبرز من يعتمد عليه تشومسكي فـي الجانب الصوتي في نظريته التوليدية التحويلية، وهو رومان ياكبسون، في التفريق بيـن الفونـيم والألوفـون. فالفونيم هو الأصل وأما الألوفون فهو الفرع، وهو الكيفية الصوتية التي يأتي عليها الفونيم إذا ما دخل في تركيب صرفي.

أمـا فـي الصـرف فلا نظن أننا بحاجة إلى شرح مفصل لإيضاح فكرة الأصل والفرع فيه، ويكفي أن نذكّر به بأمثلة نسوقها:

الأصل: قَوَلَ، والفرع قال وإن لم يكن الأصل مستعملا.

الأصل: بَيَعَ، والفرع باع، وإن لم يكن الأصل مستعملا.

الأصل: رَدَدَ، شَدَدَ والفرع ردَّ ، شدَّ، وهما مستعملان.

وفـي قولهم الأصل في هذه الألف ياء وفي تلك واو، وهكذا في الإدغام والقلب والإعلال والإبدال وهذا لا يخفى على أحد من المثقفين فضلا عن المتخصصين.

وأمـا النقطة الثانية التي نراها أصلا في النظرية التوليدية التحويلية في التراث العربـي فهـي قضـية تجريد القاعدة النحوية وارتباطها بالكلام المنطوق عن طريق ما يسمى في كتاب النحو العربي بالعامل. ولا نرى أن علينا في هذا المقام أن نتحدث كثيراً عـن اخـتلاف الـنحاة حول فكرة العامل، إذ منهم من جعله المتكلم ومنهم من رده إلى العلـي الأعلى (إلى الله) ومنهم من جعله الكلمة مذكورة في الجملة أو مقدرة فيها. وهذا أمـر معـروف. ومن شاء مزيداً من التفصيل فعليه أن يرجع إلى كتب ابن فارس وابن جني وابن مضاء القرطبي[40].

والـذي يعنينا في هذا المقام أن الكلام، المنطوق أو المكتوب، لابد أن ينتظم في الإطـار الجملي في ضوء القاعدة النحوية أو القانون اللغوي الذي هو ذهني تجريدي لا

يذكــره الإنسان ولا يتذكره إلا إذا ذُكّر به أو طُلب منه التعليل لما يقول. نقول مثلا: بلّغ محمــد الرسالة، برفع (محمد) ونصب (الرسالة). وعندما يطلب منّا التعليل نقول: محمد فــاعل وقع منه الفعل، وكل اسم أسند عليه العمل أو قام مقامه، فهو فاعل ولابد للفاعل أن يأخذ علامة حالة الرفع، فيسأل سائل: كيف إن تقدمت كلمة (محمد)؟ فتكون الإجابة: إنــه لــم يعــد فــاعلا وأصبح مبتدأ، وهنا يحصل التباين بين القاعدة الذهنية المجردة والمعنى الدلالي التركيبي[41] ، فـــ (محمد) فاعل في حقيقة الأمر تقدم أو تأخر (وبهذا قال أهــل الكوفــة) [41] ولكن القاعدة تنص على أن الفاعل لا يتقدم فعله، والمعمول لا يتقدم عاملــه، فهو مبتدأ خبره الجملة الفعلية بعده، الجملة التي فاعل الفعل فيها ضمير يعود على (محمد)، بل هو ذاته في حقيقة الأمر.

وقــد ترتب على فكرة العامل هذه نقاط واضحة الأثر في بناء النظرية النحوية. نعرض أهمها هنا مقابلة بما جاء في نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية:

1- فكــرة الترتيــب word - order . يرى تشومسكي أن هذا العنصر شأنه شأن العناصــر الأخــرى التــي سنعرضها فيما يلي من نقاط ــ لا يكون إلا للربط بين أجزاء الجملــة فــي بنيــتها السطحية Surface Structure، ولا علاقة له بالبنية العميقة أو التحتية Deep Structure فينظر إلى الجملة التالية مثلا: الرسول بلّغ الرسالة، تساوي في معناها المعنى الذي تؤديه الجملة في أي ترتيب آخر لها مثل:

بلّغ الرسول الرسالة

الرسالة بلّغ الرسول

ولكــن هذه الفكرة عند النحاة العرب تعد من أهم العناصر في إبراز المعنى في جزء من أجــزاء الجملة، وقد نص سيبويه وغيره من النحاة[42] على أن العرب إن أرادت العناية بشيء قدمته، ويقول الجرجاني (الكلمات تقتفي في نظمها آثار المعاني (ويكون) ترتيبها علــى حســب ترتيب المعاني في النفس) [43] ويقول في موضع آخر: (والترتيب فن من الفــنون التــي يــأخذ بها الفصحاء وأصحاب اللسان في الأساليب وأولئك الذين يجيدون التصرف في القول ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى) [44] ولن نطيل في نقل ما نراه

يبين دور الترتيب في إبراز المعنى فيما نجده في كتاب دلائل الإعجاز وسنكتفي من هذا الباب بالإشارة إليه ليرجع إليه من أراد التفصيل، يقول: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية ..) [45] وليس دوره عند الجرجاني بأكبر مما هو عند سيبويه، يقول سيبويه: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك كقولك: ضرب زيداً عبدُ الله لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم" [46] ، وهذا هو دور الترتيب في إبراز المعنى عند المفسرين يقول القرطبي ".. إن قيل: لِمَ قُدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم" [47].

2- الزيادة: الزيادة في النظرية التوليدية التحويلية تكون للتحسين في البنية السطحية ولا أثر لها في البنية العميقة عند تشومسكي نقول مثلا: قلت خيراً؛ فتضم هذه الجملة بنية عميقة تبقى هي ذاتها عندما تتغير البنية السطحية إلى بنية أخرى، مثل: قلت: إن الله عليم حكيم. وذلك لأن الاثنتين تعبران عن فكرة واحدة. وتبقى هي ذاتها لو غُيِّر ما جاء بعد (قلت) بأيَّة جملة أخرى تفيد معنى الخبر.

ولكن الزيادة عند النحاة العرب تعني شيءاً آخر، إذ إنها ترتبط بعدد من المباني الصرفية التي لا دور لها في المعنى عند النحاة، ولها دور في المعنى بارز واضح عند المفسرين والبلاغيين، وهذا قسم منها:

1- حروف الجر الزائدة التي عبَّر عنها النحاة بقولهم: دخولها كخروجها، مثل:

لست عليهم بمسيطر

ما تسقط من ورقة إلا يعلمها الله

ما رأيت من أحد [48]

أما عند المفسرين والبلاغيين فلها دور التوكيد ـ توكيد النفي ـ ويبدو أن الذي دفع النحاة للقول بالزيادة هنا ليس ما يسمونه (دخوله كخروجه) وإنما هو الحاجة

إلـــى الاســـم الذي بعد حرف الجر ليأخذ حركة أخرى غير الحركة التي طبعه بها حرف الجـــر، النصـــب فـــي الجملة الأولى خبرا لليس، والرفع في الثانية فاعلا للفعل تسقط، والنصـــب فـــي الثالـــثة مفعولا به للفعل المتعدي (رأى) فقالوا: مجرور لفظا مرفوع أو منصوب محلا... الخ يقول سيبويه في تعليقه على الباء في: ليس زيد بجبان أو بخيلا.. لأن الـــباء دخلـــت على شيء لو لم تدخل عليه لم يخل بالمعنى، ولم يحتج إليها، ولكن نصبا، ألا تراهم يقولون: حسبك هذا، فلا يتغير المعنى) [49].

2- فـــي ضمير الفصل، على اختلاف بين الكوفيين والبصريين، فعلى الرغم من أن نظـــرهما مـــع وجهـــة نظر المدرسة التحويلية الحديثة في أن الضمير جاء في التركيب الجملـــي الظاهر ـــ المنطوق أو المكتوب ـــ أو كما يعبر عنه التحويليون جاء في البنية الســـطحية ولا دور له في البنية العميقة، يقول سيبويه: "واعلم أن ما كان فصلا لا يغير مـــا بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يذكر. وذلك قولك: حسبت زيداً هو خيراً منك. وكـــان عـــبد الله هو الظريف. قال الله عز وجل (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق). فصارت (هو) هاهنا وأخواتها بمنزلة (ما) إذا كانت لغوا في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر" [50].

3- الحـــذف، يـــرى أصحاب المدرسة التحويلية أن الحذف لا يغير كثيراً في البنية العمـــيقة فـــي الجملـــة، فالقائل: كَسَرَ عليٌّ القلم، إنما يرمي إلى التعبير عن فكرة ذهنية عميقة لا يغير فيها شيئاً عندما يقول: كُسِرَ القلمُ، وهكذا الأمر في هذه الأداة تأتي للربط والتنســـيق فـــي الجملة مثل: .You are telling me you will be there tomorrow فإن الأسلوب السليم في اللغة الإنجليزية يقتضي أن تضاف that بيـــن الضميرين ,you me ولكـــنها (لمّا) لم يكن لها دور في البنية العميقة جرت ألسنة المتحدثين بالإنجليزية بحذفها ولو نظرنا إلى موقف النحاة العرب من هذه الظاهرة، فإننا سنجد أن رأيهم يماثل مـــا يقولـــه التحويلـــيون، أو أن رأي التحويليين يماثل ما يقوله النحاة العرب القدماء، ونلمس هذا مثلا في

علي فهم الدرس (الفاعل المضمر العائد)

إذا السماء انشقت (الفعل بعد الأداة المختصة).

حضرت حتى أناقش هذا .. (أن بعد حتى)

إياك الإهمال (في التحذير) وفي غيرها من الأبواب.

فهناك ضمير (هو) محذوف مقدر بعد الفعل (فهم) في الجملة الأولى، وفعل مقدر بعد (إذا) تقديره انشقت (يفسره المذكور بعده في الثانية) وأداة (إن) بعد حتى تنصب الفعل (أناقش) في الثالثة. وهنالك عامل بعد إياك يعمل النصب في الإهمال في الجملة الرابعة، وكذلك الحال في الاختصاص والتحذير والنداء، وأن ظهور الكلمات المقدرة لا يغير في البنية العميقة شيئاً، وإن ظهرت فلن يكون لها دور إلا في التركيب الجملي، أي في المبنى وليس في المعنى. يقول سيبويه في حذف المبتدأ: "هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً، ويكون المبنى عليه مظهراً، وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص. فقلت: عبد الله وربّي. كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيدٌ وربّي، أو مسستَ جسدا أو شممت ريحا فقلت: زيدٌ، أو المسك، أو ذقت طعما فقلت: العسل"[51].

وقد تفرع من هذه العناصر عناصر أخرى قال بها التحويليون. وظهورها عندهم لا يضيف إلى المعنى شيئاً كالتبعية في مثل :الطالبان مجتهد + ان

والإحلال في مثل: رفع الله السماء

السماء رفعها الله

وهذان عنصران موقف النحاة العرب فيهما معروف في المطابقة في العنصر الأول وفي الاشتغال في العنصر الثاني.

والذي نراه أننا نستطيع أن نأخذ من النظرية التوليدية التحويلية شيئاً من المنهج وشيئاً من المصطلحات، ونغير معنى المصطلحات ودلالتها لتنطبق على اللغة العربية. فننظر إلى الجملة على أنها تقسم إلى قسمين توليدية وتحويلية قبل أن تقسم

إلـــى اسمية وفعلية، وبذا يكون هذان القسمان حلقة سابقة على تقسيم الجملة المعروفة عـــند النحاة فتكون الجملة التوليدية هي الجملة التي تحقق التعريف الذي نأخذه بتصرف من شرح ابن يعيش: هي الحد الأدنى من الكلمات التي تفيد معنى يحسن السكوت عليه، وتســـير فـــي ترتيب مبانيها طبقاً لنظم الجملة الصغرى (الأصل) فيما يقاس على ما جاء عـــن العـــرب ويـــتم انتقال هذه الجملة (التوليدية) إلى جملة تحويلية لغرض في المعنى بواحد أو أكثر من خمسة عناصر نحصرها في ما يلي:

1. الترتيب.
2. الـزيادة (مع مراعاة البنية الشكلية للجملة العربية، والمعنى اللغوي أو النحوي الذي يأتي به عنصر الزيادة).
3. الحذف.
4. الحركة الإعرابية.
5. التنغيم.

وكان بودنا أن نفصل القول في هذه النقاط لولا إننا إن فعلنا نكون قد ابتعدنا عما أريد لهذا البحث أن يكون عليه فيما جاء في عنوانه.

الهوامش

(1) انظر F. de Saussure, Course in general linguistics, McGraw-Hill Book, New York, pp. 65-95

(2) انظر N. Chomsky, Syntatic structures, Nouton and Co. The Hague, 1965, pp. 49-61

(3) انظر N. Chomsky, Aspects of the theory of syntax, M.I.T. Press, 1966, pp. 128-148.

(4) انظر تفصيل هذه المدارس وآراء أصحابها وعلاقة كل مدرسة بالأخرى في كتابنا (في نحو اللغة تراكيبها) عالم المعرفة ـ جدة 1984.

(5) انظر N. Chomsky, Aspects.

(6) انظر Ibid, pp. 25-27.

(7) انظر Ibid, pp. 35-55

(8) انظر Ibid, pp. 45-47.

(9) انظر Ibid, 106-111, 87.

(10) انظر N. Chomsky, Aspects, pp. 35-55.

(11) انظر Ibid, pp. 63-89

(12) انظر Ibid, pp. 3-10.

(13) انظر Ibid, pp. 10-25.

(14) انظر Ibid, pp. 16-18.

(15) انظر Ibid, pp. 25-29.

(16) انظر Ibid, pp. 35-55.

(17) انظر Ibid, pp. 89-98.

(18) سيبويه: الكتاب 129/2، ابن السراج: الأصول 175/1.

(19) الإنصاف: مسألة 104.

(20) الإنصاف: مسألة 104.

(21) الإنصاف: مسألة 72.

(22) ابن السراج: الأصول 101/1.

(23) الإنصاف: 28.

(24) الإنصاف: 28.

(25) الإنصاف: 16.

(26) الإنصاف: 28.

(27) ابن السراج: الأصول 66/1.

(28) الإنصاف: 7.

(29) الإنصاف: 29.

(30) الإنصاف: 106.

(31) الإنصاف: 70.

(32) الإنصاف: 72.

(33) الإنصاف: 5.

(34) الإنصاف: 6.

(35) الإنصاف: 57.

(36) الإنصاف: 84.

(37) انظر كتاب العين 5/1-57 وانظر كتاب سيبويه 431/4-433.

(38) ابن سينا: أسباب حدوث الحروف. الفصل الثالث.

(39) انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 1/6-9، 19.

(40) انظر: ابن جني: الخصائص 1/34، ابن مضاء: الرد على النحاة، ابن فارس: الصاحبي ص3-7.

(41) انظر الفراء: معاني القرآن، ومجالس ثعلب.

(42) انظر أبو حيان: البحر المحيط 7/42.

(43) الجرجاني: دلائل الإعجاز ص40.

(44) الجرجاني: دلائل الإعجاز ص83.

(45) السابق 83.

(46) سيبويه: الكتاب 1/34.

(47) تفسير القرطبي 1/145

(48) انظر تفصيل هذا في كتابنا: في نحو اللغة وتراكيبها

(49) سيبويه: الكتاب: 1/32.

(50) السابق 1/394.

(51) سيبويه: الكتاب 1/279.